مُطــابقة الكـــلام لمقتضى الحال في قصة شُعيب ـ عليه السلام-

د. أحمد فتـح الله عبد القادر إسماعيل ـ كلية التربية ـ جامعة عمـر المختار- فرع درنة

المُقدّمة

بســـم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

القــرآن الكريم هو كـــلام الله – تعالى- المُوحَى به إلى نبيه ـ عليه الصلاة والسلام- ؛ وإذ تقرر ذلك فإنَّ أيَّ وصف للقرآن الكريم وبلاغته ينبغي ألا ينفك عن هـــذا التعريف، فالقرآن معجز ببلاغته؛ لأنه كلام الله الذي أعجزت قدرته كل شـــيء، والقرآن عظيم؛ لأنّ المتكلم به عظيم، وهكذا بقية الأوصاف ، ومن المهم هنا الإشارة إلى أن دراســـة البلاغة القرآنية غايتها الكشف عن مظهر من مظاهر الإعجاز، أمّا الكشف عن الوجه الأكمل للإعجاز فهذا غير مستطاع البتة ؛ لأنه لا يتأتى لبشر أيٍّ كان أن يحيط تماماً بكلام العزيز الرحمن.

مشكلة البحث :

دراسة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، هو في ظني بحث لجوانب عديدة من البـــلاغة في آنٍ واحد ؛ إذ إن فنون البلاغة إنّما هي لبيان هذا الباب ، وخير مثال يدرس فيه ذلك هو القرآن الكريم، ومن ذلك مطابقة الكلام لمقتضى الحال في قصة شعيب ـ عليه السلام ـ الموسوم به هذا البحث.

أهمية البحث:

سيدنا شعيب ـ عليه السلام ـ بُعث إلى قسمين من الناس، القسم الأول: قومه من مدين، والقسم الآخر: أصحاب الأيكة؛ ولهذا سنرى كيف يختلف الكلام باختلاف ذلك، كما أن حال ذينك الصنفين ، ولهذا البحث فوائد منها :

- محاولة الكشف عن وجه بديع من وجوه الإعجاز.
- لعله يُسهم في تقديم شواهد واضحة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال.
- بيان الحكمة في الدّعوة إلى الله ـ تعالى ـ بمراعاة أحوال المخاطبين.

الهدف من البحث

تَتَبُع الأساليب البلاغة الكامنة في الآيات القرآنية التي تحكي قصة شعيب - عليه السلام- والغرض من ذلك هو بيان كيف أن تلك الأساليب قد وُظفت توظيفاً دقيقاً ليطابق الكلام مقتضى الحال.

خُطة البحث

أما عن البحث في مثل هذا الموضوع فإنه متشعب الفروع؛ ولجمع أشتاته وتوضيح صفاته يُحسن تقسيمه بتقسيم القصة إلى مقدمة ، وتمهيد ففي التمهيد عني بتحديد معنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما ورد عند علماء هذا الشأن، ثم التعريج على حال القوم الذين أرسل إليهم شعيب - عليه السلام- وثلاثة مباحث ، يُبحث في كل واحد منها مطابقة الكلام لمقتضى الحال على النحو الآتـــي: المبحث الأول: مطلع القصة، والمبحث الثاني: مقطعها (موضوعها) ، والمبحث الثالث: ختام القصة، وفي كل ذلك تدرس مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، والتي تتجلى في أساليب بلاغية ، يمكن الإلماح إليها عند دراسة كل مبحث ، وينتهي البحث بنتائج يظن الباحث أنها في غاية الأهمية.

منهج البحث

يعتمد على المنهج التحليلي للآيات التي تحوي مخاطبة شعيب عليه السلام قومه من مدين، وكذلك أصحاب الأيكة.

الدراسات السابقة

لم أجد في ما اطلعت عليه من دراسات من تطرق إلى هذا البحث على هــذا النحو، إلاّ ما كان مبثوثا في كتب الأوائل

التمهيد

لعلّ من المفيد القول: إن عبد القاهر الجرجاني قد جعل المزايا في النظم بحسب المعاني والأغراض التي تُؤمُّ[1]، أي : أن النظم لا يحسن إلا إذا كان مطابقاً للأغراض أو الأحوال التي من أجلها صار نظماً ؛ ذلك أن (ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك ، بحسب مصادفة الكلام لما يليق به ، وهو الذي نسميه مقتضى الحال)[2]؛ بل إن أهمية هذا الأمر جعلت بعضهم يقول: إن العرب لا تطلق البلاغة إلا باعتبار مطابقة الكلام لمقتضى الحال[3]، ولعلهم أرادوا أن هذا هو الأساس للبلاغة، بعد فصاحة اللفظ، والتأثير في النفس.

هذا من حيث الأهمية ، أما من حيث التعريف فقد قيل: إنَّ الأمر الذي يَحملُ المُتكلّم على إيراد كلامه في صورة مخصوصة دون صورة أخـــرى: يُسمى (حالاً)، وإلقاء الكلام على هذه الصُّورة التي اقتضاها الحال يُسمى (مُقتضَىً)، فالإنكار ــ مثلاً ــ حال يقتضي التوكيد، وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابق لمقتضى الحال[4]، ولا تبعد نجعة القول إذا قلنا إن المبدأ في هذا التعريف سائرٌ حتى في الأمم الأخرى، فمراعاة أحوال المخاطبين ومقاماتهم مما يتفق عليه البلغاء، فضلاً عن العقلاء، ومن ذلك ما ذكره الجاحظ من أمـــر الصحيفة الهندية، وفيها: (لا يُكلِّمُ سيِّدُ الأَمَـــةِ بكلام الأمَةِ، ولا الملوك بكلام السوقة؟ ... ومدار الأمـــر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقـــدار منازلهم)[5]، والقرآن الكريم جـــاء للناس جميعاً ـ عرباً وعجماً ـ فلاريب إذن أن تكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال معلومة عند كل من يستمع له ويتدبر معانيه.

أما ما جاء في القرآن من قصة شعيب ــ عليه السلام ــ فإن الآيـــات تشير بدلائل بيّنة أنه قد أرسل إلى قسمين من الناس، القسم الأول: هـــم قومه (مدين)، والقسم الآخـــر: ليسوا بقومه وهم أهل البادية (أصحاب الأيكة)، وإلى هذا التقسيم مال كثير من المفسرين كما يقول الطاهر بن عاشـــور[6]، ومن حججهم على ذلك أن سورة الشعراء لما ذكرت أصحاب الأيكة لم يأت وصف شعيب فيها بأنه أخوهم، كما جاء هذا في وصف الرســـل من قبله نحو قوله – تعالى- :[**كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ**) [سورة الشعراء، الآيتـان141،142]، ومن حججهم - أيضاً - أن سورة الحجر جاء فيها قوله – تعالى- : [**وَإِنْ كانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ)** [الحجر، الآيتان 78،79]، فجعل ضميرهم مثنى باعتبار أنهم مجموع القبيلتين : مدين، وأصحاب الأيكة [7]، ولعل هذا البحث يُسهم في إضافة شـــيء من الحجج البلاغية على صحة هذا التقسيم ؛ ببيان مطابقة الكلام لمقتضى الحال في هذه القصة ، وقد اشتهر أهـــل مدين، وأصحاب الأيكة بتطفيف الكيل والميزان، والظلم والعدوان كما حكى عنهم القرآن، ومما يُروى أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان إذا ذكر شعيباً ــ عليه السلام ــ قال: " **ذَاكَ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ** " [8]، وذُكر هذا الخبر موقوفاً على الإمام مالكٍ، وسفيان الثوري[9]، قـــال ابن كثيـــر: (يقال له "خطيب الأنبياء" ؛ لفصاحة عبارته، وجزالة موعظته)[10] والمتأمل في كلام شعيب ــ عليه السلام ــ الذي سجلته الآيات الكريمة سيرى ذلك واضحاً جلياً، كيف أنَّ له طابعاً خاصاً في المخاطبة والمراجعة والمحاورة، ولعل في هذا البحث إشارةً إلى شيء من ذلك.

المبحث الأول ـ مطلع القصة:

أولاً ـ أهل مـــدين

جـــاء ذكرهم في سورة الأعراف ، وهود، والعنكبوت ، ففي سورة الأعراف بـــدأ مطلع القصة بقوله – تعالى- : [**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَـــاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ)** [الآية 85]، وفي سورة هود ورد قوله- تعالى - :[**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)**[الآيـــة 84] وفي سورة العنكبوت قال – تعالى - : [**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ)** [الآيـــة 36]، بدأت قصتهم في المواضع كلها ببراعة الاستهلال بقوله تعالى: **[أخـــاهم)**، وهذا فيه مؤانسة لهم، وتلطف معهم ، فهو منهم ويعرفونه حق المعرفة ، كما يعرف الأخ أخاه، وذلك أدعى لقبول دعوته، ثم استعمال كلمة (قوم) اسماً منادى، وإضافتها إلى شعيب (يا قومِ) فيه معنى التلطف والتحبب حرصاً منه ـــ عليه السلام ـــ على هدايتهم بقبول دعوته، وهذا النداء هو أول ما طـــرق أسماع القوم؛ إذ كان الحال ـــ في خطابهم أول مرة ـ يقتضي التلطف معهم، ثم كان أول أمر يوجه إليهم هو أمـــر التوحيد، بإفراد الله - عزَّ وجلَّ- بالعبادة؛ ذلك (أن الأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ يشـــرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد فلهذا قال شعيب - عليه السلام- : [**مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ)** ، ثم إنهم بعد الدّعوة إلى التوحيد يشرعون في الأهـــم ثم الأهم)[11]، وإنما كانت الدعوة إلى التوحيد هي الأهـــم؛ لأنها من إصلاح الاعتقاد، وهو من إصلاح النفوس، وعليه المدار في إصلاح كل شيء بعده، ثم إنه لا تُقدم المخاطبة بإصلاح الفروع من الأخلاق والمعاملات قبل المخاطبة بإصلاح الأصل وهو التوحيد؛ فقد " كان قوم شعيب عبدة أوثان فدعاهم إلى عبادة الله وحده وبالكفر استوجبوا العذاب، ولم يعذب الله أمةً عذاب استئصال إلا بالكفر)[12] وهذه الدعوة تبعها التعليل في قوله- تعالى - : [**مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ)**، وفيه دلالة الحرص على إقناعهم بقوة الحجة والبيان، وجاءت هذه الدعوة بأسلوب النفي وفيه النكرة فهي في سياق العموم، أي : نفي أن يكون هناك أي إله يستحق العبادة من دون الله ، وهذا الأسلوب قد بلغ الغاية في إقامة الحجة؛ ولذا لم تسجل الآيات أيَّ ردٍّ من قوم شعيب على ذلك، وجاء في موضع الأعراف قوله – تعالى - : [**قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**)]الآية 85]، ومعنى البينة هنا اختُلِفَ فيه، فقيل: هي آية معجزة أظهرها لقومه عرفوها ولم يذكرها القرآن، وقيل: المراد بالبينة: الحجة التي أقامها على قومه ببطلان الشرك ، وقيل: غير ذلك[13]، فجملة : [**قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ)**، تعليل لجملة: [**اعْبُدُوا اللَّهَ**

)، أي : (اعبدوه وحده؛ لأنه جعل لكم آيةً على تصديقي فيما بلغت لكم وعلى انفراده بالتصرف بالمخلوقات)[14]، ومجيء الأمر معللاً يفيد الحرص على هداية القوم بمزيد الإقناع لهم ، ولا ينفك التلطف معهم؛ فلهذا قال: (ربكم)، ولم يقل: (الله)؛ لأن الأولى تدل على أنه هو الذي خلقهم ورزقهم، وبيَّـن لهم الهداية ليسعدوا في الدارين، كما أن ذلك التعليل يلزمهم الحجة بأن الأمر واضحٌ جليٌ لا يردُّه إلا معاند، وفي سورة العنكبوت جاء قوله: [**وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ**) [الآية 36]، حيث (أقيم المُسبِّبُ مقام السَّببِ، أي : وارجوا وافعلوا ما ترجـون به العاقبة)[15]، وفي ذلك ترغيب وتحبيب في أمـر التوحيد، وخلاصة ما تقدم أن في خطاب شعيب ـ عليه السلام ـ لقومه مراعاة تامة لحالهم؛ حرصاً منه ـ عليه السلام ـ على هدايتهم، وإقامة الحجة عليهم.

ثانياً ــ أصحاب الأيكة

من لطيف مطابقة الكلام لمقتضى الحال في هـذه القصة أنه في موضع الشعراء اختلف الكلام في المطلع عن بقية المواضع من السور الأخرى، وسبب ذلك أن القصة في سورة الشعراء ذكرت أصحاب الأيكة ، وهم قوم آخـرون غير أهل مدين كانوا يعبدون الأيكة؛ ولذلك لم يأت وصفه بأنه أخوهم في هـذا الموضع[16]، بل قـال: (**كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَـالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ**) [الشعراء، الآيتان 176، 177] (والذي يشهد لذلك ويرجحه أنَّ القرآن لما ذكر هذه القصة لأهل مدين وصف شعيباً بأنه أخوهم، ولما ذكرها لأصحاب الأيكة لم يصف شعيباً بأنه أخوهم؛ إذ لم يكن شعيباً نسيباً، ولا صهراً لأصحاب الأيكة، وهذا إيماءٌ دقيق لهذه النكتة)[17]، وقصة شعيب ـ عليه السلام ـ في هذه السورة لها نمط خاص؛ إذ ابتدأت بالفعل (كذَّب) ـ كما ورد في الآية آنفاً ـ وبيان التكذيب الشديد الذي وُصف به أصحاب الأيكة بأن تكذيبهم رسولهم بمنزلة تكذيب الرسل جميعاً، ولعل في التعبير بالجمع عوضاً عن المفرد إلماحاً إلى أن تكذيبهم شعيباً ليس لأنه من غير قومهم وحسب ؛ بل لبيان شدّة عنادهم – أيضاً- ، فلو أرسل إليهم الرسل جميعاً لكذبوهم ولما كان هذا هو حالهم من شدة العناد والتكذيب اقتضى تكرار خطابهم بأسلوب متنوع، ومنه: الاستفهـام الإنكاري ، ويصح أن يكـون تحضيضاً في قـوله: (**ألا تتقون**)، ثم تعليل ذلك بقوله : [**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**) [الشعراء، الآية 178]، وفي هذه الجملة تلطفٌ بقوله: (**لَكُمْ**)، أي : لأجلكم، وفيها إقناعٌ في قوله : (**أَمِينٌ**)، أي: لم تجربوا عليَّ كذباً وخيانة ، ثم التأكيد بأسلوب الأمر في الآية بعدها : [**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**) [الشعراء، الآية 179]، ومن باب الاحتراس بـدرء التهم عن نفسه ، وأنه ما أراد بدعوتهم حظاً من حظوظ الدنيا ، وإنما

أراد الأجر من الله – تعالى- وحده قال : [**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**) [الشعراء، الآية 180]، وخلاصة القـول: إنَّ مطلع القصة في هذا الموضع احتاج إلى مزيد من التأكيد والإقناع ، لشدة تكذيب المُخاطَبين.

المبحث الثاني ــ مقطع القصة (موضوعها)

أولاً ــ أهل مــدين

كما تقدم ذكــره من أن قصة شعيب مع قومه (أهل مدين) وردت في ثلاثة مواضع ، ويلاحظ التغاير في تلك المواضع ، مما يدلّ على أن الخطاب قد تغاير وفقاً لتغاير الأحوال ، بيان ذلك أنَّ شعيباً ــ عليه السلام ــ لما فرغ من الدعوة إلى التوحيد ــ وفيه إصلاح النفوس ــ شرع يأمرهم بالشـرائع بعد الإيمان وحاصل ما أمـرهم به ــ بعد التوحيد ــ ينحصر في أصل آخـر مترتب على التوحيد، هو صلاح الأعمال، وجاء منها على وجه الخصوص ما كان فاشياً فيهم، وهو فساد المعاملات المالية التي أفسدوها بالتطفيف والبخس ، ثم ترقى الخطاب إلى الإصلاح في الأرض على وجه العموم ، والنهي عن الفساد فيها ، ومجمل القول: إن شعيباً ــ عليه السلام ــ قد أمر بالتوحيد أولاً، ثم إصلاح التعامل المالي ثانياً، ثم الاستطراد إلى الإصلاح العام في الأرض ثالثاً، ومن بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم أن ذلك كله جاء مجملاً في آية واحدة من سورة العنكبوت في قوله – تعالى- : [**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**) [العنكبوت، الآية 36]، فقوله : [**اعبدوا الله**) يشمل التوحيد، وقوله : [**وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ**) يشمل إصلاح العمل ؛ لأن رجاء اليوم الآخر هو الباعث على العمل الصالح، فأقيم المُسَبِّب مقام السَّبب، وقوله : [**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**) يشمل الإصلاح العام في الأرض، بينما جاء ذلك مفصلاً في سورتي الأعراف وهود، ففي الأعراف قال - تعالى- : [**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**) [الأعراف، الآيات 85 - 87]، وفي سورة هود جاء قوله – تعالى- : [**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا**

تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) [هود، الآيات 84 - 86] ، والمقصود بإصلاح العمل الذي ورد معناه في هذه الآيات هو أن الأمـــر بإيفاء الكيل والميزان يرجع إلى حفظ حقوق المشترين ؛ لأن الكائل أو الوازن هو البائع ، وهو الذي قد يعمل على تطفيف الكيل أو الوزن فيتضرر بذلك المشتري، وأما النهي عن بخس الناس فيرجع إلى حفظ حقوق البائعين؛ لأن المشتري هو الذي يغبن البائع في ثمن أشيائه عندما يقلل من قيمتها ، أو يحلف بأنه وجدها بثمن أقل، وإنما خصَّ هذين التحيلين بالأمر والنهي المذكورين؛ لأنهما كانا شائعين عند مدين، وهذا من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولا شك أنَّ هذا التشريع يصلح لكل زمان ومكان؛ لأنه أصل من أصول رواج المعاملة بين الناس فالمعاملات تعتمد على الثقة المتبادلة بينهم، وعندما تكون الأمانة شائعة في أي مجتمع فإنَّ النماء والازدهار سيقومان على أساس متين.

وبعد النهي عن الفساد الخاص بالتطفيف في الكيل والميزان، والبخس في أشياء الناس ترقى الخطاب إلى النهي عن عموم الفساد في الأرض بعد إصلاحها، كما جاء في آية الأعراف الآية رقم (85) المذكورة آنفاً، (والتصريح بالبعدية هنا تسجيل لفظاعة الإفساد بأنه إفساد لما هو حسن ونافع، فلا معذرة لفاعله، ولا مساغ لفعله عند أهل الأرض) [18]، ولعل في ذلك إلماحاً إلى أن فساد المعاملات المالية يفضي إلى أنواع أخـــرى كثيرة من الفساد، وكأنها لكثرتها تعم الأرض جميعاً ، فيكون ذلك مطابقاً لمآل الحال، بعطف العام على الخاص، ومن أشد أنواع الفساد العام في الأرض هو صدُّ الناس عن الإيمان بالله- تعالى - وحده؛ لأن هذا الصدُّ هو أصلٌ لكلِّ شرٍّ، وهو الذي يحمل الناس على الغش والخداع؛ ولهذا جاء العطف في قوله – تعالى- : [**وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا)** [الأعراف الآية 86]، وهو ما ورد- أيضاً- في آية العنكبوت الآية رقم (36) التي ذُكِرَتْ آنفاً، فبعد أن أمـــرهم بالإيمان بالله وحده، وما يتبعه من الأعمال الصالحة، وفي ذلك تزكية لنفوسهم، نهاهم هنا عن التعرض للناس، وصدهم عن الإيمان بالله ؛ لأنهم كانوا يصدون الناس عن لقاء شعيب ــ عليه السلام ــ كيلا يؤمنوا به ، ومجمل القول: إنه أمرهم بتزكية أنفسهم أولاً، وأمرهم بأن لا يمنعوا من أراد تزكية نفسه ثانياً ، وهذا مطابق لحالهم وواقعهم.

وتخلل تلك الآيات جُمَلٌ من الترغيب والترهيب ، والحوار والجدال، كل ذلك رغبةً في إيمانهم، وإصلاح حالهم، ومن ذلك قوله- تعالى - : [**ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) [الأعراف الآية 85] فالإشارة هنا إلى ما سبق ذكره، وهو عبادة الله وحده، وإيفاء الكيل والميزان، وتجنب بخس الناس في أشيائهم، وتجنب الفساد في الأرض، والخيرية هنا تشمل خيري الدنيا والآخرة، وذلك للنكرة في كلمة (خير) فشعيب ــ عليه السلام ــ ما يفتأ أن يكون ناصحاً لقومه ، أميناً مشفقاً عليهم، يتحبب إليهم بأحسن العبارات وألطفها؛ لعلهم يفيؤون إلى الحق ويرجعون إلى الصواب ومن ذلك أيضاً قوله: [**وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**) [الأعراف الآية 86]، وقوله : [**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**) [هود الآية 86]، وقوله: [**وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**) [هود، الآيتان 89، 90]، وأما أسلوب الحوار فيبين ما يحمله شعيب ــ عليه السلام ــ من أدبٍ رفيعٍ، وخلقٍ جمٍّ تحلى بهما عند مخاطبة قومه، وهذا باب واسع يستحق الولوج فيه بدراسة مستقلة في محاورة الرسل أقوامهم ، وتكفي هنا الإشارة إلى بعض المواضع التي تظهر فيها مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ فإن شعيباً ــ عليه السلام ــ لم ينتصر لنفسه البتة خــلال الحوار مع قومه، مع أنهم حاولوا أن يجروه إلى تحويل القضية من الموضوعية إلى الذاتية، أي من صرف شعيب عن دعوته، إلى الاهتمام بالدفاع عن نفسه فقط ومهاجمة خصومه بسفاسف القول، ولكنَّ نبي الله شعيباً لم ينجر إلى هذا المعترك الوخيم، والمتأمل في حوار الرسل مع أقوامهم يجد ذلك ظاهراً بيِّناً، وهذه فائدة عظيمة حاصلها مراعاة حال المخاطبين، فحال الرسل مع أقوامهم أنهم هداة مرشدون، ناصحون مصلحون، لا خصماء أهل جدال ولدد، وهذا شاهد من الحوار بين شعيب وقومه: [**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**) [الأعراف، الآيتان 88، 89]، فهنا يتبين الفرق بين كلام القوم الذي يحمل التهديد والوعيد، وبين كلام شعيب الذي يحمل التوكل على العزيز الحميد ، ثم الإلماح إلى أن عقوبة الله قد تقع عليهم بسبب تكذيبهم إياه ، وحتى لا يحصل العناد والنفور البعيد، جاء هذا الإلماح من ألطف طريق بقوله (**وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ**

تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) وقبل ذلك كان جوابه في غاية الحكمة بالحجاج العقلي؛ إذ كان رده مستهلاً بالاستفهام التعجبي من كونهم ألزموه بأحد أمرين، إما الإخـــراج وإما الرجوع إلى ملة الكفر، فأجابهم بأن ذلك لا يكون بالإكراه ؛ لأن سلطان الدين قائم على الإقناع، ففي هذا الجواب تعريض بحماقة خصومه ؛ إذ يحاولون ذلك عبثاً، وهو متعجب من كلامهم ، ونـــرى كيف عرَّض بالتعجب، ولم يصـــرِّح بوصفهم بالحماقة في ذلك، ثم استأْنف مرتقياً في الجواب، فبيَّن حاله، وحال الذين آمنوا معه باستحالة عودتهم إلى ملة الكفر؛ لأن العود إليها يستلزم كذبه فيما بلغه عن الله تعالى من إرساله إليهم بالتوحيد، فذلك كذبٌ على الله عن عمدٍ لأن الذي يرسله الله، لا يرجع إلى الكفر، وكذلك العود إليها يستلزم كذب الذين آمنوا به على الله، حيث أيقنوا بأن شعيباً مبعوثٌ من الله بما دلَّهم على ذلك من الدلائل؛ ولذلك جاء بضمير المتكلم المشارك في كُلٍّ من قوله: (**افْتَرَيْنا**)، و(**عُـدْنا**)، و (**نَجَّانَا**)، و(**نعُودَ**)، و(**رَبُّنا**)، و(**توَكَّلْنا**)[19] ، وهذا كله مطابق لحالهم لإيماني.

وفي ســـورة هود ورد هذا الحوار: (**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**) [هود الآيات 87 – 93]؛ في هذه الآيات يظهر جانب آخـــر من مدى استهزاء القوم به، والتعريض بالسخرية منه ؛ حيث وصفوا شعيباً بأنه (**الحليم الرشيد**)، أي: أرادوا عكس ذلك تهكماً واستهزاءً، كما يفسر ذلك ابن عباس وغيره[20]، ونـــرى كيف كان جوابه ـ عليه السلام ـــ حيث ناداهم بأنهم قومه على الرغم من استهزائهم به، يقول أبو حيان واصفاً ردَّ شعيبٍ على قومه: (هذه مراجعة لطيفة، واستنزالٌ حسن ، واستدعاءٌ رقيق؛ ولذلك قال فيه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـ " **ذَاكَ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ** " ، وهذا النـــوع يسمى استدراج المخاطب عند أرباب علم البيان ، وهو نوع لطيف، غريب المغزى، يُتوصل به إلى

بلوغ الغرض)[21]، ثم ترقى في الجواب بقول سار مسير الحكم والأمثال السائرة، في قوله : [**ومَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**) [هود الآية 88]، وهكذا يتبين بجلاء كيف أنَّ شعيباً ــ عليه السلام ــ والأنبياء والرسل جميعاً هم مصلحون مرشدون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد نبَّه قومه بأنه لا ينهاهم عن شـــيء إلا وقد ألزم نفسه بالانتهاء عنه أولاً، ثم إنه قد راعى حالهم بأنه لا يريد النهي لمجرد النهي؛ إذ إن (المنتقدين قسمان: قسم ينتقد الشيء، ويقف عند حدِّ النقد دون ارتقاء إلى بيان ما يصلح المنقود، وقسم ينتقد الشَّيْءَ لِيُبَيِّنَ وجه الخطأ، ثم يعقبه ببيان ما يصلح خطأه) [22]، ومن لطيف المعاني التي توظف في مطابقة الحال، أنْ وصف الشقاق بأنه يحمل على الإجرام، وهذا من أبدع التصوير لمقتضى حالهم؛ إذ صاروا مجرمين بسبب شقاقهم لشعيب ودعوته، ولعل هذا يُعدُّ ملمحاً بأن شقاق الرسل ومخالفة الحق الذي جاءوا به كل ذلك يحمل المشاقين المخالفين على أن يكونوا مجرمين، ثم نرى كيف فتح لقومه باب التوبة والاستغفار في قوله : [**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**) [هود 90]، فنرى كيف اختار الاسمين الكريمين لله تعالى (رحيم ودود)؛ وذلك ليوافق حال التوبة والإنابة، بعد أن خوَّفهم من عذاب الله، وهذا من أحسن ما يكون في مراعاة حال المخاطب بالجمع بين الوعد والوعيد؛ لأنه أدعى إلى قبول الحق، والإذعان له، ولمَّا زاد خطاب قومه له شدة وفظاظة، قابلهم بالتحذير من المخالفة له، من غير تجريح، ولا سباب أو شتام ؛ بل تلطف بهم غاية التلطف في قوله: [**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**) [هود الآية 93]، فعلى الرغـــم من غلاظتهم وفظاظتهم في الخطاب ، وتهديدهم إياه بالرجم فإن شعيباً ــ عليه السلام ــ ما يزال يرد عليهم بالتلطف والتودد بمخاطبتهم (يا قوم)، ثم إنه لم يواجههم صراحة بأنهم قد حقَّ عليهم العذاب والخزي وبأنهم كاذبون ، بل عرَّض بذلك كله بأن أحال الوصف المستحق لهم إلى انتظار العاقبة وأنه داخل في ذلك ـ كما ورد في الآية آنفاً ـ إن كان كاذباً وحاشاه هذا الوصف ولاريب أن ذلك قد بلغ الغاية القصوى من الأدب في خطاب المخالف ومراعاة حال المخاطبين بإلزامهم الحجة ولزوم المحجة.

ثانياً ــ أصحاب الأيكة

جاء خطابهم بخصوصية في الكلام؛ إذ قال: [**أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ**) [الشعراء، الآيات 181 ــ 188]، فقوله: [**ولا تكونوا من المخسرين**) يقتضي معنيين، الأول: إشارة إلى أهل مدين؛ لأنهم فعلوا فعلهم والآخر: أن (صوغ: من المخسرين، أبلغ من: لا تكونوا مخسرين؛ لأنه يدل على الأمر بالتبرؤ من أهل ذلك الصنيع)[23]، وورد في قصة الأيكة ذكر (القسطاس) ووصف بـ (المستقيم)، و (" القسطاس" المعتدل من الموازين، وهو بناء مبالغة من القسط، وذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن معنى قوله : (**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ**) أن عدِّلوا أموركم بميزان العدل الذي جعله الله لعباده)[24]، فالمعنى : يحتمل الحقيقة، أي : أحسن الموازين، ويحتمل المجاز، أي : اجعلوا أموركم كلها على مراد الله - تعالى - من العدل والاستقامة[25]، وهذا من التوســـع في العبارة ؛ إذ لا منافاة في الجمع بين المعنيين ، فأصحاب الأيكة يبدوا أنهم كانوا أشد تكذيباً ؛ لما تقدم ذكره بأن جعل تكذيبهم كأنه تكذيب للرسل جميعاً؛ فناسب أن يذكر في قصتهم خاصة (القسطاس المستقيم) زيادة في موعظتهم وإرشادهم، ثم ذكر جملة أخرى تميزت بها قصة أصحاب الأيكة، وهو قوله: [**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ)** [الشعراء، الآية 184]، ومعنى : (**الجبلة الأولين**) يشير إلى دلالتين، كلاهما مشتقتان من كلمة الجبل، فالدلالة الأولى دلالة الثبات (فقيل : فلان جبل لا يتزحزح تصوُّراً لمعنى الثبات فيه ، وجبله الله على كذا، إشارةً إلى ما رُكِّب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله) [26]، فمن الأولين من جُبِلوا على العناد وتكذيب الرسل ، والدلالة الأخرى (تُصوِّر منه معنى العِظَم؛ فقيل للجماعة العظيمة: (جِبْلٌ) ، قال الله – تعالى- : [**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً**)[يس، الآية : 62] ، أي : جماعةً ، تشبيهاً بالجبل في العِظَم)[27]، فالمعنى : يدور على الكثرة، والعَظَمة، والرسوخ لأنه مأخوذ من مـــادة (جبل)[28]، وقد كرَّر عليهم الأمر بتقوى الله مؤسساً عليها تذكيراً بآبائهم الأولين الذين كانوا أكثر منهم قوةً، وجمعاً، وثباتاً على خُلقهم، وهذا مطابق لحالهم ؛ إذ كانوا معجبين بأنفسهم، ويأتي وصف شعيب ــ في هــذا الموضع خاصة ــ من جهة قومه بأنه من المسحورين، وفوق ذلك جاء تحديهم بطلب العذاب من باب السخرية والاستهزاء، وهذا كله يشهد لما سبق ذكره بأن مقام أصحاب الأيكة أشد عتوًّا

وعناداً، ولكن مع ذلك كله جاء رد شعيب في جملة واحدة لا تغادر البتة مقام اللطف واللين: [**قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ**) [الشعراء، الآية 188]، ويتأكد من كل ما سبق ذكره من مواضع بأن شعيباً ــ عليه السلام ــ قد راعى تمام المراعاة مقام الرسالة والتبليغ والإرشاد والنصح، على الرغم من العنت الذي لقيه من قومه.

المبحث الثالث ــ خاتمة القصة

جاء في خاتمة القصة أن العذاب كان متنوعاً على ثلاثة أنواع : الرجفة ، جاء ذكرها في سورة الأعراف [الآية 91]، والصيحة، في سورة هــود [الآية 94] والظلة، في سورة الشعراء [الآية 189]، وهــذه الأنواع الثلاثة من العذاب مناسبة تمام المناسبة لمواضعها التي ذُكرت فيها كما يقول ابن كثير : (وقد ذكر الله- تعالى- صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن ، كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ، ففي الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ وذلك لأنهم قالوا: [**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**) [الأعراف، الآية 88] ، فأرجفوا بنبي الله ومن اتبعه، فأخذتهم الرجفة، وفي سورة هود قال: [**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ**) [هود، الآية 94] ؛ وذلك لأنهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم: [**أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**) [هود، الآية 87] قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم فقال: [**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ**) [هود، الآيــة 94] ، وهاهنا (يقصد سورة الشعراء) قالوا: [**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**) [الشعراء، الآية 187] على وجه التعنت والعناد، فناسب أن يحق عليهم ما استبعدوا وقوعه) [29] ، وهذا يعني أن أنواع العذاب كانت مطابقة تمام المطابقة لمقتضى حالهم من الإرجاف والاستهزاء والعناد، وفي تعدد العذاب لهم خاصة ــ دون غيرهم من الأقوام ــ ملمح دقيق ؛ إذ يصح القــول: إنه لما كان ديدنهم أكل أموال الناس بالتحايل والمخاتلة ، فإن العذاب جاءهم من وجه المخاتلة – أيضاً- حيث أصابتهم الرجفة أولاً ؛ ففزعوا من تساقط البنيان عليهم فتجمعوا في البراح ، وعند ذلك أخذتهم الصيحة، وهذ من باب استدراجهم ، والمكر بهم، أما أصحاب الأيكة فيقول ابن عباس وغيره عن عذابهم : (بعث الله عليهم ومدة وحرَّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم ، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت ، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً ولذةً فنادى بعضهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا

تحتها، أرسلها الله عليهم ناراً)[30] ، وهذا - أيضاً - مطابق لمقتضى حالهم الأصلي من التحايل والمخاتلة، فأخذهم الله تعالى من جنس معصيتهم، والله تعالى أعلى وأعلم.

الخاتمة

وفـــي خاتمة هذا البحث خلُص البحث إلى النتائج الأتية :

1- القصص القرآني يحوي أحسن الشواهد لبيان مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

2- الأساليب البلاغية تتكامل لبيان هذا المبحث المهم.

3- أسلوب الحوار في القصص القرآني يحتاج إلى مزيد من البحث والتدقيق.

4- مراعاة حال المخاطبين، والتدرج في الخطاب معهم من أهم طرائق الدعوة وأنفعها.

5- يتنوع ذكر العقوبات في القرآن الكريم بتنوع حال المُعاقَبين.

6- دراسة المتشابه اللفظي في الآيات ينبغي أن تكون من باب مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

الهـوامش

1. ينظر : عبد القاهر الجرجاني: أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (471هـ)، دلائل الإعجاز تحقيق : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة 2004م. : ص87.
2. السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر(626هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1987م.ص168.
3. ينظر: ابن عربشاه: عصام الدين إبراهيم بن محمد (943هـ)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت.: ج1ص60، وأحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت. د. ت.: ص43.
4. ينظر: المراغي: أحمد بن مصطفى (1371هـ)، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993م. ص41.
5. الجاحظ : عمرو بن بحر (255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة 1998م.: ج1ص : 92، 93.
6. ينظر: الطاهر بن عاشور: (1393هـ)، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر 1984م. ج19ص183.
7. ينظر: السابق: نفسه: ج19ص184.
8. الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (توفي 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1990م.: ج 2ص620، حديث رقم (4071).
9. ينظر: ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي (توفي 327هـ)، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز السعودية الطبعة الثالثة، 1999م.: ج5ص1522، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج4ص346.
10. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج3ص447.
11. الفخر الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر (606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1999م.، ج18ص384.
12. أبو حيان الأندلسي: أثير الدين محمد بن يوسف (ت745هـ)، البحر المحيط ، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، 1999م.: ج6ص195.
13. ينظر: الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ج8ص241.
14. السابق: نفسه: ج8ص217.
15. الزمخشري: جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر (538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة،1987م.: ج3 ص : 453.
16. ينظر: البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود (ت510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن تحقيق: محمد النمر وآخرين، دار طيبة، الطبعة الرابعة 1997م.: ج6 ص: 127.
17. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ج19ص184.

18. السابق: نفسه: ج8ص175.
19. ينظر: السابق: نفسه: ج9ص7،8.
20. ينظر: ابن كثير: أبو الفدار إسماعيل بن عمر (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية 1999م. ج4ص344.
21. أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: ج6ص198.
22. الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ج12ص145.
23. السابق: نفسه: ج19ص184.
24. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غـــالب الأندلسي (542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 2001م.: ج4 ص : 242.
25. ينظر: ــ الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد (502هـ)، المفردات في غريب القرآن تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م.: ص404.
26. السابق: نفسه: ص94.
27. السابق: نفسه: ص94.
28. ينظر: ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993م.: مادة (جبل).
29. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج6ص192.
30. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، جامع البيان في تأويل آي القرآن تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر الرياض، الطبعة الأولى، 2001م.:ج17ص638.